
حكايات جزائريّة
سوء الحظّ العابر
CHIHAB Kids

حكايات جزائرية

سوء الحظّ العابر



قصص جمعتها : وردة عكيف

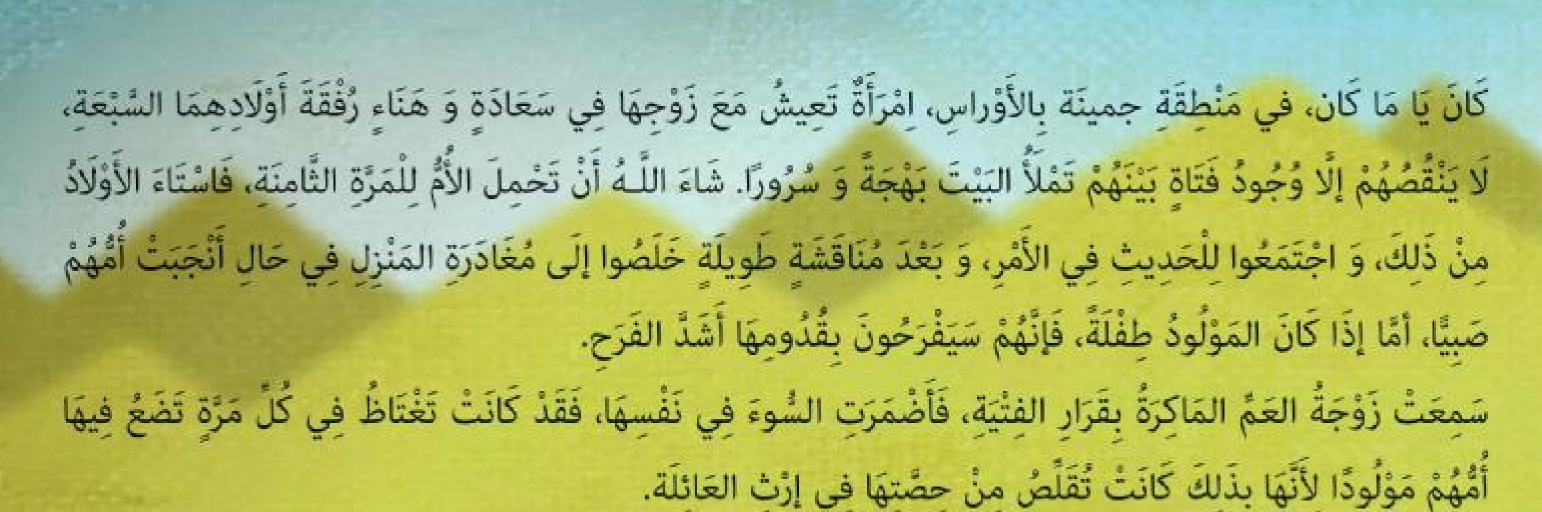
الترجمة : شهرزاد صغير

مراجعة : محمد أمير لعرابي

رسوم : نشوى جعفري







كَانَ يَا مَا كَان، في مَنْطِقَةٍ جميلَة بِالأَوْراسِ، اِمْرَأَةٌ تَعِيشُ مَعَ زَوْجِهَا فِي سَعَادَةٍ وَ هَنَاءٍ رُفْقَةَ أَوْلَادِهِمَا السَّبْعَةِ، لَا يَنْقُصُهُمْ إِلَّا وُجُودُ فَتَاةٍ بَيْنَهُمْ تَمْلَأُ البَيْتَ بَهْجَةً وَ سُرُورًا. شَاءَ اللَّـهُ أَنْ تَحْمِلَ الأُمُّ لِلْمَرَّةِ الثَّامِنَةِ، فَاسْتَاءَ الأَوْلَادُ مِنْ ذَلِكَ، وَ اجْتَمَعُوا لِلْحَدِيثِ فِي الأَمْرِ، وَ بَعْدَ مُنَاقَشَةٍ طَوِيلَةٍ خَلَصُوا إِلَى مُغَادَرَةِ المَنْزِلِ فِي حَالِ أَنْجَبَتْ أُمُّهُمْ صَبِيًّا، أَمَّا إِذَا كَانَ المَوْلُودُ طِفْلَةً، فَإِنَّهُمْ سَيَفْرَحُونَ بِقُدُومِهَا أَشَدَّ الفَرَحِ.

سَمِعَتْ زَوْجَةُ العَمِّ المَاكِرَةُ بِقَرَارِ الفِتْيَةِ، فَأَضْمَرَتِ السُّوءَ فِي نَفْسِهَا، فَقَدْ كَانَتْ تَغْتَاظُ فِي كُلِّ مَرَّةٍ تَضَعُ فِيهَا أُمُّهُمْ مَوْلُودًا لِأَنَهَا بِذَلِكَ كَانَتْ تُقَلِّصُ مِنْ حِصَّتِهَا فِي إِرْثِ العَائِلَةِ.

مَرَّتِ الشُّهُورُ بِسُرْعَةٍ، و هَا قَدْ حَانَ وَقْتُ الوَضْعِ. وَ أَخِيرًا، أَنْجَبَتِ الأُمُّ طِفْلَةً سَمَّتْهَا عَائِشَةَ.

لِلْأَسَفِ، كَانَتْ زَوْجَةُ العَمِّ تَتَحَيَّنُ الفُرْصَةَ لِتُنَفِّذَ خُطَّتَهَا المَشْؤُومَة. وَ مَا إِنْ سَمِعَتِ الخَبَرَ حَتَّى أَسْرَعَتْ إِلَى الفِتْيَةِ لِتُعْلِمَهُمْ بِأَنَّ أُمَّهُمْ أَنْجَبَتْ صَبِيًّا ! حَزِنَ الأَوْلَادُ حُزْنًا شَدِيدًا لِسَمَاعِ هَذَا الخَبَرِ، فَقَامُوا بِمُغَادَرَةِ المَنْزِلِ دُونَ رَجْعَةٍ.

بَعْدَ سَنَوَاتٍ، كَبُرَتْ عَائِشَةُ فَصَارَتْ شَابَّةً جَمِيلَةً يَافِعَةً، يَرْغَبُ كُلُّ شَبَابِ القَرْيَةِ فِي الزَّوَاجِ مِنْهَا، إِلَّا أَنَّ ذَوِيهِم كَانُوا يَرْفُضُونَ ذَلِكَ مُعْتَقِدِينَ بِأَنَّ وُجُودَهَا بَيْنَهُمْ يُحِلُّ اللَّعْنَةَ وَ يَجْلِبُ الحَظَّ السَّيِّءَ، وَ هَكَذَا يَصْرِفُونَ النَّظَرَ عَنْهَا فَلَا يَتَكَلَّمُ مَعَهَا أَحَدٌ، حَتَّى الفَتَيَاتُ لَا يُجَالِسْنَهَا أَوْ يَقْتَرِبْنَ مِنْهَا !

فِي لَحَظَاتٍ مِنَ الحُزْنِ وَ اليَأْسِ، تَسْأَلُ المِسْكِينَةُ وَالِدَيْهَا قَائِلَةً : « لِمَ يَنْفُرُ الجَمِيعُ مِنِّي ؟ لِمَ لَا يُحِبُّ أَحَدٌ رُفْقَتِي ؟ لِمَ يَقُولُونَ بِأَنَّنِي أَجْلِبُ الحَظَّ السَّيِّء ؟ ».

فَتَرُدُّ الأُمُّ مُوَاسِيَةً : « لَا تَحْزَنِي يَا ابْنَتِي، إِنَّهُمْ يَغَارُونَ مِنْكِ، لِأَنَّكِ أَجْمَلُ فَتَاةٍ فِي القَرْيَةِ ».







ذَاتَ يَوْمٍ، اسْتَأْذَنَتْ عَائِشَةُ وَالِدَيْهَا فِي الذَّهَابِ إِلَى النَّافُورَةِ، فَأَذِنَا لَهَا. وَ عِنْدَ وُصُولِهَا شَاهَدَتْ امْرَأَةً مُسِنَّةً تَمْلَأُ غِرْبَالًا بِالمَاءِ فَهَزَأَتْ بِهَا.

قَالَتِ العَجُوزُ : « أَتَسْخَرِينَ مِنِّي يَا فَتَاة ؟! عَلَى الأَقَلِّ أَنَا لَمْ أَجْلِبِ اللَّعْنَةَ لِعَائِلَتِي ».

اقْتَرَبَتْ عَائِشَةُ مِنَ العَجُوزِ وَ أَمْسَكَتْ بِثَوْبِهَا قَائِلَةً : « مَاذَا تَقُولِينَ أَيَّتُهَا العَجُوزُ الشَّمْطَاء ؟ ».

خَافَتِ العَجُوزُ بَعْضَ الشَّيْءِ، لَكِنَّهَا وَاصَلَتِ الحَدِيثَ : « حَسَنًا، جَعَلْتِ إِخْوَتَكِ السَّبْعَةَ يَفِرُّونَ مِنَ البَيْتِ يَوْمَ وِلَادَتِكِ ».

لَمْ تُصَدِّقْ عَائِشَةُ كَلَامَهَا : « أَنْتِ لَا تَقُولِينَ الحَقِيقَة، لَسْتِ سِوَى كَاذِبَة ! ».

شَعَرَتِ العَجُوزُ لِوَهْلَةٍ بِالشَّفَقَةِ عَلَى الفَتَاةِ ـ فَلَا ذَنْبَ لَهَا فِي الحَقِيقَةِ فِيمَا حَدَثَ ـ ثُمَّ أَضَافَتْ قَائِلَةً : « اسْأَلِي وَالِدَتَكِ، سَتُخْبِرُكِ إِنْ كَانَ لَدَيْكِ إِخْوَةٌ أَمْ لَا، أَمَّا أَنَا فَعَلَيَّ الذَّهَابُ، لَقَدْ تَكَلَّمْتُ كَثِيرًا ».

بَقِيَتْ عَائِشَةُ مَكَانَهَا حَتَّى المَسَاءِ، وَ هِيَ تُفَكِّرُ فِي طَرِيقَةٍ لِمَعْرِفَةِ الحَقِيقَةِ، وَ لَكِنْ دُونَ جَدْوَى. وَ بِخُطًى مُتَثَاقِلَةٍ، عَادَتْ إِلَى البَيْتِ وَ دَفَعَتِ البَابَ، فَأَسْرَعَتْ إِلَيْهَا أُمُّهَا وَ قَالَتْ : « لِمَ كُلُّ هَذَا التَّأْخِير ؟! قَلِقَ عَلَيْكِ وَالِدُكِ كَثِيرًا، وَ هُوَ الآنَ فِي طَرِيقِهِ لِلْبَحْثِ عَنْكِ ».

عَائِشَة : « كَانَ هُنَاكَ العَدِيدُ مِنَ النَّاسِ، لِهَذَا تَأَخَّرْتُ ».

الأُمُّ : « لَا بَأْسَ يَا ابْنَتِي، ارْتَاحِي الآنَ، سَأُحَضِّرُ لَكِ حَسَاءً ».

رَفَضَتْ عَائِشَةُ أَنْ تَأْكُلَ وَ لَازَمَتِ الفِرَاشَ أُسْبُوعًا كَامِلًا ! قَلِقَتِ الأُمُّ بِشَأْنِ ابْنَتِهَا، فَاسْتَعَانَتْ بِجَارَاتِهَا عَسَى أَنْ تَجِدَ عِلَاجًا أَوْ دَوَاءً يَنْفَعُهَا، لَكِنَّ عَائِشَةَ ظَلَّتْ طَرِيحَةَ الفِرَاشِ.

فِي يَوْمٍ مِنَ الأَيَّامِ، زَارَتْ عَجُوزُ النَّافُورَةِ أُمَّ عَائِشَةَ وَ قَالَتْ : « كَمْ أُشْفِقُ عَلَى حَالِكِ يَا جَارَتِي العَزِيزَة، فَقَدْتِ أَوْلَادَكِ السَّبْعَةَ وَ الآنَ ابْنَتُكِ مَرِيضَة ! ».

سَمِعَتْ عَائِشَةُ كَلَامَ العَجُوزِ فَانْتَفَضَتْ مِنْ سَرِيرِهَا وَ قَالَتْ لِأُمِّهَا : « لِمَ لَمْ تُخْبِرِينِي بِوُجُودِ إِخْوَةٍ لِي ؟! ».

ذُهِلَتِ الأُمُّ، لَكِنَّهَا رَدَّتْ قَائِلَةً : « بَحَثْنَا عَنْهُمْ طَوِيلًا، فَلَمْ نَجِدْ لَهُمْ أَثَرًا، لِهَذَا أَخْفَيْنَا الأَمْرَ عَنْكِ ».

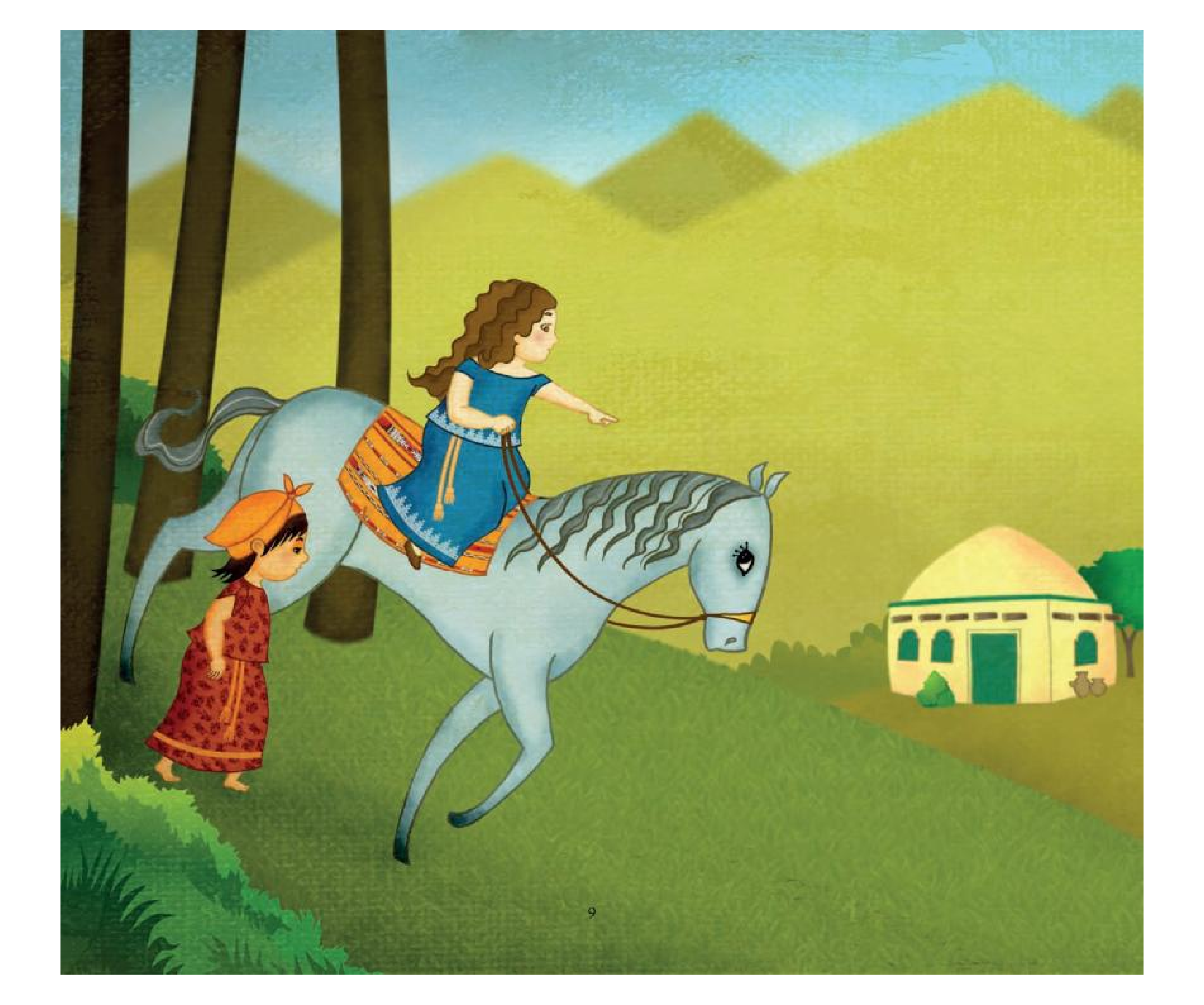
قَالَتْ عَائِشَةُ بِلَهْجَةٍ حَاسِمَةٍ : « فِي فَجْرِ يَوْمٍ غَدٍ، سَأَذْهَبُ لِلْبَحْثِ عَنْ إِخْوَتِي، وَ لَنْ أَعُودَ إِلَّا بِرُفْقَتِهِمْ ».

وَ لَمَّا كَانَ الغَدُ، أَخَذَتْ تَسْتَعِدُّ لِرِحْلَتِهَا، وَ قَبْلَ أَنْ تُغَادِرَ البَيْتَ، أَوْصَاهَا وَالِدُهَا قَائِلًا : « خُذِي حَبَّةَ الحِمِّصِ هَذِهِ، احْمِلِيهَا مَعَكِ، فَإِنَّكِ إِنْ تَحَدَّثْتِ إِلَيْهَا أَجَابَتْكِ. ثُمَّ أَشَارَ إِلَى الخَادِمَةِ وَ قَالَ : أَمَّا هَذِهِ فَسَتُرَافِقُكِ طِيلَةَ الرِّحْلَة ».

وَدَّعَتْ عَائِشَةُ أَبَوَيْهَا وَ كُلُّهُمْ أَمَلٌ فِي إِيجَادِ إِخْوَتِهَا قَرِيبًا.

أَثْنَاءَ الطَّرِيقِ، سَأَلَتْ عَائِشَةُ حَبَّةَ الحِمِّصِ عَمَّا يَجِبُ فِعْلُهُ، فَرَدَّ الوَالِدُ : « تَابِعِي سَيْرَكِ يَا ابْنَتِي، أَنْتِ عَلَى أَثَرِ إِخْوَتِكِ ».

سَارَتِ الفَتَاتَانِ بِخُطُوَاتٍ مُسْرِعَةٍ إِلَى أَنْ وَجَدَتَا فِي الطَّرِيقِ كُوخًا. دَقَّتْ عَائِشَةُ البَابَ فَسَمِعَتْ صَوْتًا يَقُولُ : « تَفَضَّلُوا بِالدُّخُول ».





فَتَحَتْ عَائِشَةُ البَابَ فَرَأَتْ شَيْخًا يَجْلِسُ إِلَى النَّارِ. عَرَضَ الشَّيْخُ عَلَى الفَتَاتَيْنِ الجُلُوسَ ثُمَّ سَأَلَهُمَا عَنْ سَبَبِ مَجِيئِهِمَا. قَالَتْ عَائِشَةُ : « أَبْحَثُ عَنْ إِخْوَتِي السَّبْعَةِ الَّذِينَ غَادَرُوا المَنْزِلَ مُنْذُ وِلَادَتِي ».

قَالَ الشَّيْخُ : « سَتَجِدِينَ إِخْوَتَكِ خَلْفَ هَذَا الجَبَلِ، لَكِنَّ تَسَلُّقَهُ سَيُعَرِّضُكِ لِلْخَطَرِ ؛ لِأَنَّ عَلَيْكِ أَنْ تَمُرِّي مِنْ عَيْنِ السِّبَاعِ أَوَّلًا ».

قَالَتْ عَائِشَةُ بِنَبْرَةٍ يَائِسَةٍ : « وَ مَا العَمَلُ إِذَنْ ؟ ».

الشَّيْخُ : « خُذِي كَبْشًا مِنَ القَطِيعِ الَّذِي أَمْلِكُهُ، اِذْبَحِيهِ ثُمَّ جَزِّئِيهِ إِلَى قِطَعٍ، وَ عِنْدَمَا تَمُرِّينَ بِالعَيْنِ اِرْمِي قِطَعَ اللَّحْمِ لِلسِّبَاعِ الَّتِي تَظْهَرُ هُنَا وَ هُنَاكَ، وَ هَكَذَا يَنْشَغِلُونَ عَنْكِ بِالطُّعْمِ، فَتَتَمَكَّنِينَ مِنْ مُوَاصَلَةِ السَّيْرِ. حِينَ تَصِلِينَ إِلَى سَفْحِ الجَبَلِ قُومِي بِرَبْطِ الجَوَادِ وَ تَسَلَّقِي الجَبَلَ بِكُلِّ ثِقَةٍ، وَ عِنْدَهَا سَتَسْعَدِينَ بِرُؤْيَةِ إِخْوَتِكِ ».

نَفَّذَتِ الفَتَاتَانِ مَا قَالَ الشَّيْخُ فَنَجَتَا مِنَ السِّبَاعِ، ثُمَّ رَاحَتَا تَتَسَلَّقَانِ الجَبَلَ، وَ بَيْنَمَا هُمَا كَذَلِكَ، أَحَسَّتْ عَائِشَةُ بِالعَطَشِ، فَطَلَبَتْ مِنْ خَادِمَتِهَا أَنْ تُحْضِرَ المَاءَ، لَكِنَّهَا رَفَضَتْ بِشِدَّةٍ.

أَخْرَجَتْ عَائِشَةُ حَبَّةَ الحِمَّصِ وَ اسْتَدْعَتْ وَالِدَهَا، وَ حِينَ سَمِعَتِ الخَادِمَةُ صَوْتَ سَيِّدِهَا شَعَرَتْ بِالخَوْفِ فَرَاحَتْ تَبْحَثُ عَنِ المَاءِ، وَ بَيْنَمَا هِيَ تَتَفَقَّدُ المَكَانَ اِلْتَقَتْ بِسَيِّدَةٍ تَحْمِلُ جَرَّةً مَمْلُوءَةً بِالمَاءِ فَسَأَلَتْهَا : « سَيِّدَتِي المُحْتَرَمَةُ، هَلْ تُرْشِدِينَنِي إِلَى المَكَانِ الَّذِي جَلَبْتِ مِنْهُ المَاءَ ؟ ».

فَرَدَّتِ السَّيِّدَةُ : « جَلَبْتُهُ مِنَ العَيْنِ ذَاتِ المِيزَتَيْنِ ».

الخَادِمَة : « وَ مَا هَاتَانِ المِيزَتَان ؟ ».

السَّيِّدَة : « يَكْفِي أَنْ يَشْرَبَ أَحَدُهُمْ مِنْ هَذِهِ العَيْنِ حَتَّى يَتَغَيَّرَ لَوْنُ بَشَرَتِهِ، فَإِنْ كَانَتْ بَيْضَاءَ صَارَتْ سَمْرَاء، وَ إِنْ كَانَتْ سَمْرَاءَ تَحَوَّلَتْ إِلَى بَيْضَاء ».

تَبَادَرَتْ إِلَى ذِهْنِ الخَادِمَةِ فِكْرَةٌ فَقَالَتْ فِي نَفْسِهَا : « إِنَّهَا الفُرْصَةُ المُنَاسِبَةُ لِأَتَخَلَّصَ مِنْهَا ».

سَقَتِ الخَادِمَةُ عَائِشَةَ مِنَ المَاءِ السِّحْرِيِّ، فَصَارَتْ سَمْرَاءَ ! وَ لَمَّا رَأَتْ عَائِشَةُ مَا حَلَّ بِهَا صَرَخَتْ فِي وَجْهِ الخَادِمَةِ وَ قَالَتْ : « مَاذَا فَعَلْتِ بِي أَيَّتُهَا البَائِسَة ؟! ».

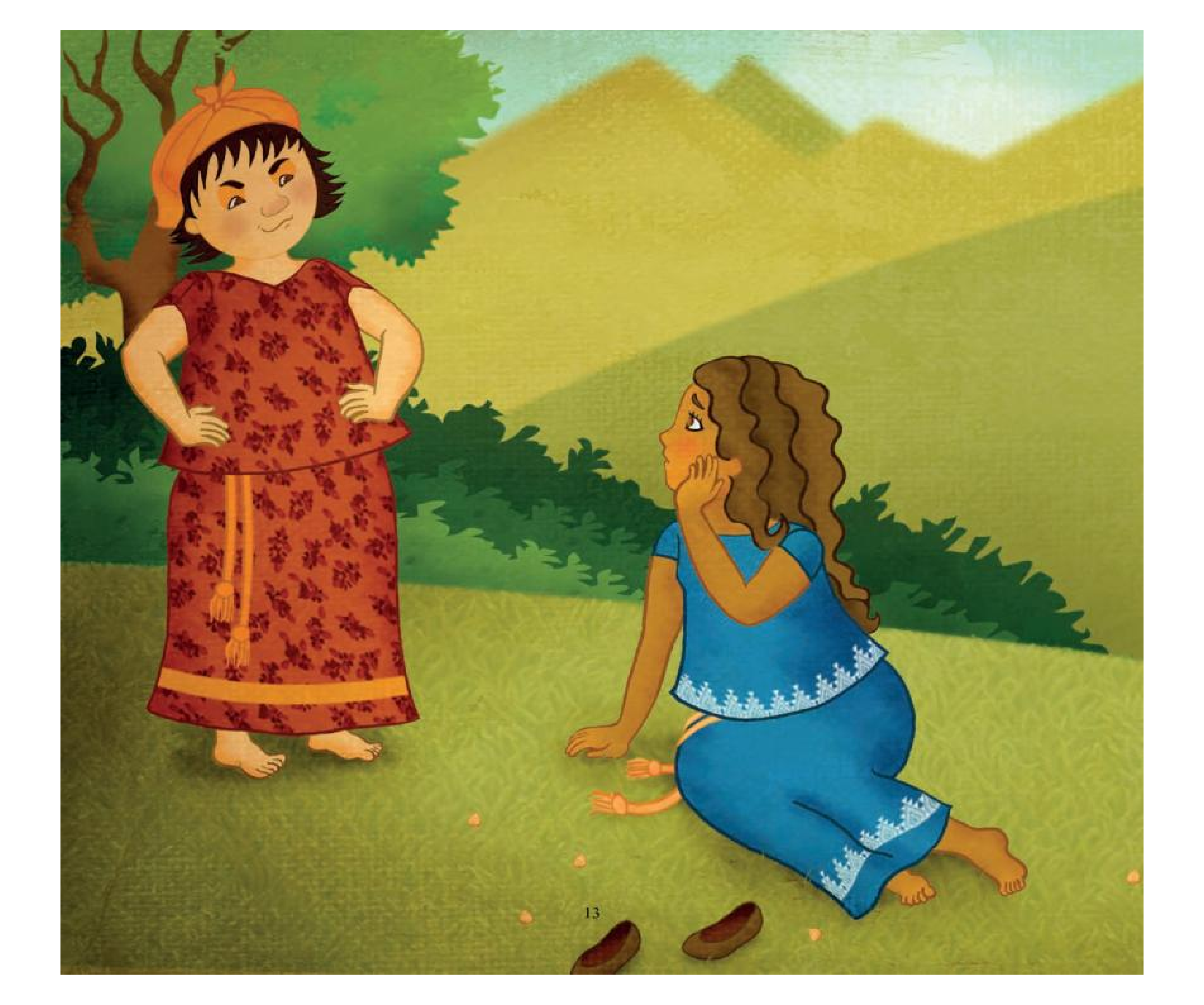
الخَادِمَة : « شَرِبْتِ مِنْ مَاءِ العَيْنِ ذَاتِ المِيزَتَيْنِ، لِنُتَابِعْ سَيْرَنَا، فَنَحْنُ عَلَى أَثَرِ إِخْوَتِك ».

أَخْرَجَتْ عَائِشَةُ حَبَّةَ الحِمَّصِ وَ قَالَتْ : « أَبِي، أَرَأَيْتَ مَا فَعَلَتِ الخَادِمَةُ بِي ؟ ».

فَرَدَّ قَائِلًا : « لَا تَكْتَرِثِي لِلْأَمْرِ يَا ابْنَتِي، يَجِبُ أَنْ تُتَابِعِي السَّيْرَ فَأَنْتِ عَلَى أَثَرِ إِخْوَتِكِ ».

اقْتَرَبَتْ عَائِشَةُ فَلَمَحَتِ البَيْتَ الَّذِي يَضُمُّ إِخْوَتَهَا، أَدْخَلَتْ يَدَهَا فِي جَيْبِهَا لِتُخْرِجَ حَبَّةَ الحِمَّصِ لَكِنَّهَا لَمْ تَجِدْهَا ! لِلْأَسَفِ، لَنْ تَحْصُلَ عَائِشَةُ عَلَى الجَوَابِ هَذِهِ المَرَّة.

قَالَتِ الخَادِمَةُ بِازْدِرَاءٍ : « بِمَا أَنَّكِ أَضَعْتِ حَبَّةَ الحِمَّصِ فَأَنَا مَنْ سَتُجِيبُك، إِذَا رَأَيْتِ إِخْوَتَكِ فَقُولِي بِأَنَّكِ الخَادِمَةُ وَ بِأَنِّي أُخْتُهُمْ ».





دَقَّتِ الخَادِمَةُ بَابَ البَيْتِ قَائِلَةً : « افْتَحُوا البَابَ، أَنَا أُخْتُكُمْ الَّتِي غَادَرْتُمْ البَيْتَ بِسَبَبِهَا ».

انْدَفَعَ الإِخْوَةُ السَّبْعَةُ نَحْوَ البَابِ، وَ لَمَّا فَتَحُوهُ وَجَدُوا عِنْدَهُ فَتَاتَيْنِ، إِحْدَاهُمَا سَمْرَاءُ جَمِيلَةُ المَلَامِحِ، وَ الأُخْرَى بَيْضَاءُ قَبِيحَةُ المَظْهَرِ.

خَالَجَ عَائِشَةَ إِحْسَاسٌ غَرِيبٌ، وَ أَخَذَ قَلْبُهَا يَخْفِقُ بِشِدَّةٍ، أَرَادَتِ الكَلَامَ لَكِنَّهَا تَلَعْثَمَتْ، وَقَاطَعَتْهَا الخَادِمَةُ فَقَالَتْ : « أُقَدِّمُ لَكُمْ خَادِمَتِي ».

رَحَّبَ الإِخْوَةُ بِالضَّيْفَتَيْنِ ثُمَّ قَالَ أَكْبَرُهُمْ لِلْخَادِمَةِ : « نَحْنُ سُعَدَاءُ جِدًّا بِرُؤْيَتِكِ وَ فَخُورُونَ بِأَنَّ لَنَا أُخْتًا مِثْلَكِ، كُنَّا نَعْتَقِدُ بِأَنَّ أُمَّنَا أَنْجَبَتْ صَبِيًّا، لِهَذَا غَادَرْنَا المَنْزِلَ، أَمَّا وَ قَدْ جَمَعَ القَدَرُ بَيْنَنَا فَسَنَعُودُ إِلَى دِيَارِنَا سَوِيًّا، لَا بُدَّ أَنَّ وَالِدَيْنَا مُشْتَاقَانِ لِرُؤْيَتِنَا ».

لَمْ تَرُقْ فِكْرَةُ الرُّجُوعِ لِلْخَادِمَةِ بِالطَّبْعِ فَقَالَتْ : « مَهْلًا يَا إِخْوَتِي الأَعِزَّاء، أَنَا مُتْعَبَةٌ جِدًّا، أُرِيدُ أَنْ أَرْتَاحَ أَوَّلًا، فَقَدْ تَعَرَّضْتُ لِلْكَثِيرِ مِنَ المَخَاطِرِ لِأَجِدَكُمْ ».

أَشْفَقَ الإِخْوَةُ عَلَى أُخْتِهِمْ (الخَادِمَة)، فَوَعَدُوا بِالاعْتِنَاءِ بِهَا وَ تَلْبِيَةِ كُلِّ رَغَبَاتِهَا، أَمَّا أُخْتُهُمُ الحَقِيقِيَّةُ (عَائِشَة) فَتَرَكُوهَا فِي الإِسْطَبْلِ لِتَعْتَنِيَ بِجِمَالِهِمُ السَّبْعَة.

تَتَوالَى الأيَّامُ، وَ عَائِشَةُ مَنْ تُحَضِّرُ الطَّعَامَ لإخْوَتِهَا وَ تَعْتَنِي بِجِمَالِهِمْ دُونَ أَنْ تَتَفَوَّهَ بِكَلِمَةٍ، لَا تَجِدُ المِسْكِينَةُ مُتَنَفَّسًا إلَّا حِينَ تَخْرُجُ لِلرَّعْي، حَيْثُ تَتَسَلَّقُ نَخْلَةً فَتُنْشِدُ قَائِلَةً : « ارْتَفِعِي يَا نَخْلَةُ فَوْقَ النَّخِيلِ، وَ أَعْلِمِي وَالِدَيَّ بِأَنَّ الخَادِمَةَ صَارَتْ سَيِّدَةً وَ أَنَّ ابْنَتَهُمَا صَارَتْ خَادِمَةً، ابْكِي يَا جِمَالُ فَأَنَا أَبْكِي، ابْكِي يَا جِمَالُ فَأَنَا أَبْكِي ».

وَ بَيْنَمَا هِيَ كَذَلِكَ، يَأْكُلُ العُشْبَ سِتَّةٌ مِنَ الجِمَالِ، أَمَّا السَّابِعُ فَيُصْغِي إِلَى الفَتَاةِ وَ هُوَ يَذْرِفُ الدُّمُوعَ.

بَعْدَ مُرُورِ شَهْرٍ، جَاءَ الأَخُ الأَكْبَرُ لِيَأْخُذَ جَمَلَهُ فَوَجَدَهُ هَزِيلًا تَمْلَأُ الدُّمُوعُ عَيْنَيْهِ، بَيْنَمَا تَبْدُو الجِمَالُ الأُخْرَى فِي حَالٍ جَيِّدَةٍ، فَذَهَبَ إِلَى إخْوَتِهِ وَ حَدَّثَهُمْ بِمَا جَرَى، فَقَالُوا : « لَمْ يَسْبِقْ لَنَا أَنْ رَأَيْنَا جَمَلًا يَبْكِي، لِنَسْتَشِرْ جَارَنَا الدَّرْوِيشَ، فَهُوَ وَحْدَهُ مَنْ يَسْتَطِيعُ تَوْضِيحَ الأَمْرِ ».

ذَهَبَ الإِخْوَةُ إِلَى الدَّرْوِيشِ وَ شَرَحُوا لَهُ الوَضْعَ قَائِلِينَ : « تَحْرُسُ جِمَالَنَا خَادِمَةٌ جَلَبَتْهَا أُخْتُنَا مَعَهَا مُنْذُ شَهْرٍ، وَ خِلَالَ هَذَا الوَقْتِ نَمَتْ سِتَّةُ جِمَالٍ وَ سَمِنَتْ، أَمَّا السَّابِعُ فَضَعُفَ وَ هَزُلَ، ثُمَّ إِنَّ عَيْنَيْهِ تَذْرِفَانِ الدُّمُوعَ دَائِمًا، فَمَا قَوْلُكَ ؟ ».

رَدَّ الدَّرْوِيشُ قَائِلًا : « يَكْمُنُ السِّرُّ فِي الفَتَاةِ الَّتِي تَحْرُسُ الجِمَالَ، يَجِبُ أَنْ تَتَخَفَّوْا جَانِبًا لِمَعْرِفَةِ مَا يَجْرِي ».

نَفَّذَ الإِخْوَةُ كَلَامَ الدَّرْوِيشِ، فَرَأَوْهَا وَ هِيَ تَصِلُ إِلَى مَكَانِهَا المُعْتَادِ ثُمَّ تَرْتَقِي إِلَى النَّخْلَةِ وَ تُنْشِدُ قَائِلَةً : « ارْتَفِعِي يَا نَخْلَةُ فَوْقَ النَّخِيلِ، وَ أَعْلِمِي وَالِدَيَّ بِأَنَّ الخَادِمَةَ صَارَتْ سَيِّدَةً وَ أَنَّ ابْنَتَهُمَا صَارَتْ خَادِمَةً، ابْكِي يَا جِمَالُ فَأَنَا أَبْكِي، ابْكِي يَا جِمَالُ فَأَنَا أَبْكِي ».



فِي ذَاتِ الوَقْتِ، كَانَ يَأْكُلُ العُشْبَ سِتَّةٌ مِنَ الجِمَال، بَيْنَمَا كَانَ الجَمَلُ السَّابِعُ يَتَأَمَّلُ الفَتَاةَ وَ يَبْكِي.

أَدْرَكَ الإِخْوَةُ حِينَهَا بِأَنَّ الخَادِمَةَ المَزْعُومَةَ هِيَ أُخْتُهُمُ الحَقِيقِيَّةُ فَذَهَبُوا إِلَيْهَا وَ اعْتَذَرُوا مِنْهَا.

شَعَرَتْ عَائِشَةُ بِنَشْوَةٍ عَارِمَةٍ فَرَاحَتْ تُكَفْكِفُ دُمُوعَهَا وَ تُقَبِّلُ إِخْوَتَهَا، ثُمَّ إِنَّهَا أَخْبَرَتْهُمْ بِمَا فَعَلَتْ بِهَا الخَادِمَةُ فَعَزَمُوا عَلَى العَوْدَةِ إِلَى البَيْتِ لِلإِيقَاعِ بِهَا.

لَمَّا وَصَلُوا، قَالَ الأَخُ الأَكْبَرُ لِلْخَادِمَةِ (الحَقِيقِيَّة) : « سَمِعْنَا بِوُجودِ العَيْنِ ذَاتِ المِيزَتَيْنِ، وَ نَوَدُّ أَنْ نَجْلِبَ القَلِيلَ مِنْ مَائِهَا السِّحْرِيِّ لِنَسْقِيَ أَحَدَ الجِمَال... » فَقَاطَعَتْهُمْ قَائِلَةً : « لَا عَلَيْكَ يَا أَخِي العَزِيز، سَأَصْحَبُكَ إِلَى مَكَانِهَا، فَأَنَا أَعْرِفُ الطَّرِيقَ جَيِّدًا ».

وَ فِي صَبَاحِ الغَدِ، انْطَلَقَ الإِخْوَةُ رُفْقَةَ الخَادِمَةِ، تَتْبَعُهُمْ عَائِشَةُ وَ مَعَهَا الجِمَالُ. وَ عِنْدَ وُصُولِهِمْ، أَمَرَ الإِخْوَةُ الفَتَاتَيْنِ بِشُرْبِ المَاءِ السِّحْرِيِّ، فَأَمَّا عَائِشَةُ فَفَعَلَتْ وَ أَمَّا الخَادِمَةُ فَرَفَضَتْ.

قَالَ الأَخُ الأَكْبَرُ : « انْكَشَفَ أَمْرُكِ أَيَّتُهَا المُخَادِعَة، سَتُجْبَرِينَ عَلَى شُرْبِ هَذَا المَاءِ، إِنَّهُ العِقَابُ الَّذِي تَسْتَحِقِّينَهُ ».

شَرِبَتِ الخَادِمَةُ مِنَ المَاءِ فَصَارَتْ سَمْرَاءَ، أَمَّا عَائِشَةُ فَعَادَتْ بَيْضَاءَ كَمَا كَانَتْ. عَانَقَ الإِخْوَةُ أُخْتَهُمْ وَوَعَدُوهَا بِالرِّعَايَةِ وَ الحِمَايَةِ مَدَى الحَيَاة.





وَ فِي الغَدِ، امْتَطَى الإِخْوَةُ السَّبْعَةُ جِمَالَهُمْ عَائِدِينَ إِلَى مَنْزِلِ العَائِلَةِ بِرُفْقَةِ أُخْتِهِم، وَ كَمْ كَانَتْ فَرْحَةُ الأَبَوَيْنِ كَبِيرَةً حِينَ رَأَيَا المَوْكِبَ مِنْ بَعِيدٍ وَ هُوَ يَضُمُّ أَبْنَاءَهُمَا جَمِيعًا !

وَفَتْ عَائِشَةُ بِالوَعْدِ الَّذِي قَطَعَتْهُ، وَ عَادَتْ مُحَاطَةً بِإِخْوَتِهَا، أَمَّا الخَادِمَةُ المُتَمَرِّدَةُ فَأُوكِلَتْ لَهَا مُهِمَّةُ رَعْيِ الجِمَال.